

كيف عرفت بوجود الاوطوروت لأول مرة :

في اللحظة التي تمددت فيها - بطولي - تماما على البساط وقلت اني اسعد شخص فوق هذا الكوكب النائه : شخص يملك شيئا يستطيع ان يدبر في بابه مفتاحا ويتمدد على أرضه دون انثناء ، في هذه اللحظة بالذات انما ارتفع الجدار الغربي للبيت الى السماء وسط دوي وهالة كثيفة من الغبار . وفي اللحظة نفسها انما رأيت الشمس الشاحبة والرافعة الصفراء و ، أخيرا ، المواطن ذا الرداء الازرق .

قال لي المواطن الازرق : أنت محفوظ . لحست الغبار من شفتي فقال : أنت محفوظ لانه لا زال امامك متسع من الوقت تجمع فيه حاجياتك وتذهب بعيدا قبل أن تسقط بقايا البيت عليك وتمر على جسدك الرافعات وآلات الحفر الاخرى . فنظرت الى يد الرافعة والجدار وفكرت في البيت الاول الذي التهمته النار والثاني الذي غاب تحت المطر وقلت : اذهب بعيدا ، الى أين ؟ فلم يسكت وقال لي : هذا امر يخصك وأنا شخص لا يدس أنفه في شؤون الآخرين . ورأيت يد الرافعة ترمي الجدار بعيدا وتسندير نحو البيت ثانية وقلت له : أستطيع جمع حاجياتي فأجاب : كلا . لقد فات الوقت . اذهب قبل أن يفوت وقتك أنت أيضا . وقلت لنفسى : الا زال وقتك قائما ؟ ووددت أن أنظر الى وجهي في مرآة واقهقه حتى يموت قدر كاف من الخلايا ويولد قدر كاف آخر . الا أن أحجار السقف بدأت تسقط فابتعدت عن بيتي السابق وسألت المواطن الازرق : هل أستطيع أن اعرف من أنت ؟ فقال وهو وهو ينقل يديه بين اللوالب والازرار : طبعاً . نحن الاوطوروت . والآن اذهب ولا تضع وقتي .

ماذا جرى عندما سألت المواطن الازرق عن اتجاه الاوطوروت :

وابتعدت قليلا فرأيت بيتي السابق يتحول الى اطلال وراودني كثير من الاسف لاجل السواح الذين سيأتون في القرون القادمة فلا يجدون أثرا يزورونه مثلما نزور نحن الآن بيوت الاقدمين . ونظرت الى ما يحيط بي فرأيت عددا من

الرافعات وهي ترفع الجدران بأذرعها وتدور حول نفسها مطلقة الغبار والدوي والدخان . وخطرت على بالي فكرة نهائية فعدت الى المواطن الازرق وقلت له : هل تستطيع أن تخبرني باتجاه الاوطوروت ؟ . فأوقف عمله تماما وثبت عينيه على عيني وقال : ماذا تقول ؟ قلت : لقد تعلمت كيف أبني بيتي بعيدا عن خطر النار ثم تعلمت كيف أبنيه بعيدا عن خطر الفيضان والآن أريد أن أعرف كيف أبنيه بعيدا عن الاوطوروت . فقال لي : أنتم تسألون نفس السؤال وكانكم ركبتم عليه . وتاملني مليا وهو ساكن ، ثم أردف : دعني أقول لك ، أنت مواطن طيب فاسمع مني هذا السر ولا نقله لاحد . قلت : هممم ؟ فقال : تستطيع ، وأنت مطمئن البال ، أن تعرف بأن الاوطوروت ليس لها اتجاه محدد . حقا انها تبدأ من جهة ما . لكن لا أحد يستطيع بعد ذلك أن يحدد الى أين تسير ولا أين تقف . وانحنيت على الرافعة سائلا بهمس متواطي : كيف ؟ فصمت لحظة وقال : أنا لا أفهم أغلب الأشياء ولذلك فأنا مرتاح . وعلى ما يظهر لي فإن من الأفضل لك أنت أيضا ألا تفهم . وابتسم بسمه مقتصدة فابتسمت بسمه واسعة وعجزته بعيني قائلا : فهمت . فاستأنف عمله وقال : والآن ، هيا ، دعني أعمل . وقلت له وداعا ولم يقل شيئا فابتعدت عنه . والحق اني لم أفهم شيئا البتة . الا أن الشيء الوحيد الذي أحسست به هو أن ما من شيء خاف وأن المرء يوجد دائما على أعتاب المعرفة .

كيف صرت ضعيف السمع والبصر :

ثم أخذت وجهتي نحو البيوت التي لم تصلها الاوطوروت بعد . ومشيت مسافة طويلة حتى أحسست بالتعب فنظرت الى الخلف وشاهدت أن الرافعات الصفراء لم تبعد عني قط ورأيت أذرعها تنقض على البيوت فترفع جدرانها وتقذف بها جانبا . ونهيا لي ، بغثة ، أنني أسمع صوت استغاثة مختنقة فارهفت السمع لكني لم أميز سوى دوي الآلات وهي تعمل . فقلت : أنا على أعتاب الشيوخوخة وحواس المرء تبدأ في الضعف عند هذه الاعتاب ، فلعلني لم اسمع شيئا على وجه التحديد . واستأنفت سيرتي فارتفع الصراخ وكأنه يصدر مني هذه المرة فالتفتت ثانية وبدا لي مواطنان - كان أحدهما رجل وكان الثاني امرأة - محاصرين بأربع رافعات أمام حائط احدى البيوت التي لم يصلها دورها بعد ورافعة خامسة تمد يدها فتعصر جسميهما مع الحائط وتمزج الدم بالعظام واللحم والحشجة . وأدبرت رأسي نحو الطريق الممتدة أمامي وسرت وأكدت لنفسني : أنا شيخ الآن ، وعيني الكليتان لا تقويان على رؤية أبعد من موقع خطوي . ثم ان الخلق كثير ، والمواطنون لا يتقنون شيئا فذر اتقانهم للتناسل .

كيف فتحت فمي فانغلق من تلقاء ذاته :

ومررت في طريقي بعدد من البيوت الاخرى وقد جلس نساؤها وأطفالها أمام الابواب في صمت مستسلمين للشمس وللذباب وهو يمتص من أجسادهم التعب والميكروبات ويستريح ، حين يتعب ، على كروش الاطفال المنتفخة وعلى رؤوسهم التي امتلات بأشياء الدنيا دون أن يبالي أصحابها سراويلهم على مقاعد الدرس بعد . وقالت امرأة : لو أن الموت ياتي فينتهي كل شيء مرة واحدة وإلى الابد . وكان الآباء لا يقتلون أبناءهم الا لانهم يعتقدون بأنهم سيصبحون أطباء ومهندسين ، وذلك رغم أن من يعيش من الابناء لا يقوم بغبر افتعال المعارك أمام مكاتب التشغيل . وتذكرت الاطورات القادمة ففتحت فمي لآحذرهم قبل فوات الزمان . الا أنني أحسست به ينغلق من تلقاء ذاته ، فقلت ان اللسان لا عظم به وان الوظيفة التي خلق لها هي تحريك الاكل في الفم اثناء المضغ . وتذكرت عددا من الحكماء والفلاسفة وأكملت طريقي باتجاه المنعطف .

كيف اصطدمت بالمواطن الرمادي وكيف عرفت أنه منهم :

وفي المنعطف تماما وجدنتي وجها لوجه مع مواطن يرتدي بذلة رمادية . حدثتني اليمين مخليا له الطريق فحادت الى اليمين . حدثتني الشمال فحادت الى الشمال فحادت الى الشمال . عدت فحدثتني اليمين فحادت وحاد الى اليمين . وعدت الى اليسار فحادت الى اليسار . وتجمع الغضب في جيوب عيني فوق وقال لي : معك اوراقك؟ قلت : نعم ، وانت ؟ فانتفخت جيوبه الانفية وصرخ بي : أنا من يسأل لا أنت . فعرفت حينها أنه منهم وقلت له : انني أسفم وأنا أعذر كل الاعتذار ولو كنت أعرف أنك سنتاتي من هنا لأذهبت من هناك وتركنك تمشي حسب رغبتك ان شئت شمالا وان شئت يمينا او جنوبا . فارتخت أذناه وقال : والآن ، ناولني بطاقتك

كيف قلت للمواطن الرمادي بأني معلق بين السماء والارض فأخبرني بوجود دساكن لمنكوبي الاطورات الناجين من الموت :

وناولته البطاقة التي تحمل صورتي ورقمي وعنواني . فناكد من رقمي وسألني : أين تسكن ؟ وقلت : كنت أسكن بالعنوان المكتوب على ظهر البطاقة ، الا انني الآن لا أسكن بأي مكان ، بسبب أن الاطورات قد مرت على بيتي منذ لحظات وبذلك فانا أشبه الشخص المعلق بين السماء والارض وقال لي : هل سبق لك أن علقك بين السماء والارض ؟ قلت : كلا . وانما أسمع الناس يقولون ذلك واتخيله فيبدو لي أمرا غير مريح . فقال : حسنا . أنت محفوظ

لأنك وجدنتني أمامك . سوف أبعث بك الى المساكن التي خصصناها لمنكوبي
 الاوطوروت الناجين من الموت . وتظاهرت بالفرح وسألته : هل ثمة منازل
 خاصة بنا فعلا ؟ نعم : نعم . منازل بكل ما يلزمها ، قلت وأنا أفكر فيما اذا
 كان علي أن اسنهر في التظاهر بالفرح : حقا ؟ فقال لي : بماذا تقسر ندرة
 الدقيق والسكر والشاي هذه الايام ؟ قلت : أنا لا أفسر شيئا . أنا مخلوق من
 مخلوقاته أقصى سعادته أن ياكل القوت وينتظر الموت . وقال : ساجيبك
 أنا : أنتعلم أن كل انتاج البلاد أصبح يكفي بالكاد أولئك المنكوبين ؟ قلت لا
 أعلم ذلك . وأردفت : وهل هم كثر الى هذا الحد ؟ فلم ينظر الى جهتي وقال :
 سوف ترى ذلك بنفسك . والآن سر مع هذا الشارع الى نهايته وادخل مع
 آخر باب تجده على يمينك وأسأل عن المواطن المكلف بقضايا المنكوبين .
 وشكرته بحرارة فسلمني البطاقة وقال : الآن هيا . وتجنب المنعطفات في
 المرة القادمة .

كيف أخذني المواطن الاصفر الى السكن :

وسرت مع الشارع فعلا الى نهايته . دون أن أصادف في طريقي انسا ولا
 جانا ولا حتى قطعا متصارعة . وقلت لنفسني : لقد وصلت الى نهايه العالم .
 وكان الشارع محصورا بسور ضخم ولا منفذ له . فنظرت الى اليمين ورايت
 حيطانا رمادية ونوافذ مقللة وبابا واسعا مشرع الدفتين وكان الاخير في الصف
 نقلت : هو ذا ودلفت منه فوجدت ردهة ملأى بمواطنين يرتدون ازياء صفراء
 وخضراء واقترب مني مواطن برداء أخضر وقال : ماذا تريد ؟ قلت : لاشيء .
 أنا فقط أسأل عن المواطن المكلف بقضايا المنكوبين . فقال : أنا هو بلحمه
 ودمه . ماذا تريد مني ؟ قلت : أنا . البيت . الاوطوروت . قال : نعم ، فهمت ،
 تعال معي ايها المواطن المنكوب . وأخذني نحو باب يفتح على باطن الارض
 وقال : اتبعني . ونزلت وراه على درج ضيق يلنف حول نفسه الى ان وصلنا
 الى كهف يضيئه مصباح كهربائي ذابل يكتشف عن مكتب جلس خلفه مواطن
 عار لا يرتدي أي زي وعن ابواب سوداء عدة . وقال المواطن الاخضر : مساء
 الخير . فقال المواطن العاري : صباح الخير . ونظر الي فقلت : ظهر الخير .
 وقال المواطن الاخضر : هو ذا منكوب جديد يبحث عن سكن . فقال الآخر :
 مرحبا . أتمنى أن تعجبك مساكننا . وابتسمت وأومات براسي . فسألني :
 هل معك ساعة . قلت كلا . وقال : هل معك نقود . قلت كلا . فقال : والآن ،
 اخلع سيور حذائك . واقترب مني المواطن الاصفر ومرر يديه على جيوبي
 وعلى باقى مناطق جسمي فلم يجد شيئا وقال : اخلع سيور حذائك . وانحنيت
 لأخلمها فوجدت رجلي حافيتين وتذكرت فقلت له : لقد نسيت الحذاء في البيت ،
 لم يكن الوقت كافيا ، ونظرا الى رجلي ووقف المواطن العاري وقال : حسنا ،

تعال الى هذه الجهة . وتناول من فوق المكتب سلسلة من المفاتيح وفتح باحداها أحد الابواب في فرقة شديدة وقال لي : ادخل . وتقدمت فلفحت وجهي الحرارة ورائحة البول العطن ودخان السجائر الملفوفة ، فنرددت وقلت : لعلكم على خطأ . فانا أسأل عن مساكن منكوبي الاطوروت . وقال : وهذه ، ألم تعجبك . ودفعني من ظهري : تقدم ايها المنكوب : واغلق الباب .

كيف عرفت بوجود الاطوروت لأول مرة :

وبدأت عياني تتعودان على المكان فرايت عددا من المواطنين يحيطون بي ويحملقون في وجهي بعيونهم الجاحظة . ورايت مصباحا كهربائيا ذاويا . وقال لي مواطن : كم سرقت ؟ وقال صوت آخر : انا لا اعرفه ، لكنه قائل من دون شك . وهتف ثالثا : كلا ، انا اعرفه ، لقد كان يهرب الكيف ، وتعالست اصواتهم . فقلت لهم : انتم على خطأ . فانا من منكوبي الاطوروت . ونظروا الي وجهي في صمت . وهتف مواطن ذو لحية بيضاء : الاطوروت ! ما هي الاطوروت ؟ فضحك مواطن آخر وقال : الا تعلم ايها المغفل . تم اكل وهو لا يزال بضحك : معناها ... وحرك وسط جسمه وذراعية حركة ذات معنى . فانفجر كل الحاضرين بالضحك سوى المواطن ذي اللحية البيضاء الذي بدا انه لم يفهم وسألني : شمهروش ؟! وازداد الضحك قوة واخذ المواطنون ينتساقطون على ظهورهم . ولم اعرف بماذا اجبه فسأل ثانيه : يوم الحساب ! ؟ واخذوا يركلون الهواء بارجلهم ويسعلون فيبصقون الدم . وبغنة فرقع الباب وبرز المواطن العريان وقال : ماذا يحصل ؟ فساد الصمت بلحظة ووقف مواطن به شكل هيكل عظمي وقال : هذا الرجل قال لنا : انتم كلكم هنا بسبب الاطوروت . وفتحت فمي فعاد وانغلق ووقف مواطن آخر وقال : لقد ذكرنا ان الاطوروت حيلة لانزعاج اراضي الناس . وسألني المواطن العريان : احقا ، وانت لم تدفيء مكانك بعد ؟ قلت : كلا ، لقد كانوا يقولون لي : ما هي الاطوروت . فقال : ما هي الاطوروت ؟ الا تعرفون ما هي الاطوروت ؟ فوقفوا جميعا وقالوا بصوت واحد : كلا . نحن نعرفها . فابتسم وأشار الي جهتي ، اذن قولوا له ما هي . فوضعوا جميعا ايديهم خلف ظهورهم باستثناء الرجل ذي اللحية البيضاء وهتفوا : الاطوروت هي اقرب طريق الى القمر . وقال لهم : حسن جدا . اعيدوا . ونظرت الى المواطن الملتحي فلحظته مكوما في ركن من اركان المكان ينظر بصمت الي والى المواطن العريان ثم الي باقي المواطنين . وقال المواطن العريان موجها الكلام الي : هل عرفت ما هي الاطوروت ؟ قلت : نعم ، هي اقرب طريق الى المريخ ، فلم يقل لي احد . وابتسم وقال : لا تضحكوا كثيرا فميعاد الاكل يقترب . وخرج ثم اقفل الباب . وبدا المواطنون يمتصون اصابعهم ، فذهبت الي المواطن الملتحي

وجلست بجواره . فنظر الى عيني وقال : ما هي الاطواروت ؟ وكانت نظرتة حادة ملهوفة فلم أجد بدا من مصارحته فقلت له متحاشيا أن يسمعنا الآخرون . ان الاوطوروت طريق طويلة معبدة تمر بها السيارات والشاحنات حاملة السلع التي ينبغي حملها والناس الذين ينبغي حملهم وقلت له ان الاوطوروت مرت فوق بيتي منذ لحظة وأنني أتيت هنا لاجل السكن الا أنني أعتقد أنهم سوف يصنعون من جسمي قارا يعبدون به الطريق . وبذلك نعود الى القار الذي أتينا منه في البداية . وأمسكني المواطن ذو اللحية البيضاء من ذراعي وقال : كلا . ليست هذه هي الاوطوروت . وقلت له : إذن ما هي ؟ . فقال : أسكت ، ومد يده تحت جلده وأخرج قطعة من صفحة جريدة ووضعها بين يدي وقال : انظر . ونظرت فرأيت صورتين لعائلة سعيدة . كتب على اولها : هذه عائلة . وعلى ثانيها : هذه مؤسسة . ولم ألحظ فرقا بين الصورتين ، فقلت ، الاوطوروت . وتاملت الاب يجلس على المقعد برزاة والام تقف مختالة وقورة والابناء يبتسمون ولا يعرفون شيئا غير الابتسام . فعاودتني الرعدة القديمة ونظرت الى المواطن فوجدت عينيته تلتصقان وهما تبحتان في وجهي عن شيء ما . ولم أجه وطويت الورقة . وتذكرت الوالد والوالدة والزمن البعيد . وذكرت ان الارض كرة وأن قبائل الاوروا لا تتكلم العربية . فاشتدت الرعدة . وناولت الورقة الى المواطن . ونظرت الى عينيته . ثم نظرت الى المواطنين الآخرين وهم بمصون أصابهم . ورفعت عيني الى السقف فرأيت الاوطوروت قادمة . وأردت أن أهتف بالمواطن الابيض : ها هي ذي ، انظر . وكانت الاوطوروت وحشا خرافيا بسبعين رأسا وبآلاف الأذرع . الا أن لساني ثقل ، وأعضائي انغرزت في الارض . وقلت : الآن سأصرخ صرخة النهاية . وبدأت الرعدة تشتد فاهتزت الحيطان واهتز الأشخاص . ورأيت الخيول وهي تركض امام عيني فارة من السهام وهي تطارد أعناقها . ورأيت النجم القطبي وأربعة نجوم أخرى . ورأيت السفن والثلج والأتربة . ورأيت أشياء كثيرة ، غير ان الرعدة تشتد تشتد تشتد . غير أن الرعدة تشتد ...

مصطفى المسناوي

أواخر سبتمبر 1977